Journal of Humanities and Social Sciences
Volume (4), Issue (6): 30 June 2020
P: 51 - 67

ISSN: 2522-3380

مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلد (4)، العدد (6): 30 يونيو 2020 م
ص: 51 - 67

# The method of historical writing for western travelers in Al-Ahsa of 1328- 1353 AH/ 1910- 1934 AD

**Majdah Attiyah Allah Ahmad Al-Majnouni**

College of Sharia and Islamic Studies || Umm Al Qura University || KSA

**Abstract:** This study seeks to provide a vision as travel literature is an art of Arab literature and a source of archaeological resources to write history

to present a varied picture of the approach of western globetrotters writings about the Arabian Peninsula in general, and the Al-Ehsa'a region and its people in particular, the importance of which is due to its distinguished location on the Arabian Gulf coast that links the west with the East.

As the writings of Western globetrotters approaches was drawn up by different points of view in order to reach an appropriate approach for the study of trips literature in general, and to shed light on the methodology of these globetrotters in their writings and their impressions about the Al-Ehsa'a region and to be able to extract an integrated history for the region. To achieve these two aims, it is necessary to review the academic studies concerned with the research

In this study,the researcher used the ethno-historical approach, which is an approach based on following the methods of the descriptive ethnographic approach, by examining the content of the writings of globetrotters as a research sample,and then following the description through the reality of the observations, and on collecting the scientific material from the books of western globetrotters during that period, and then study and analyze it.

To elicit and extract conclusions from their books as globetrotters and researchers, but in death they only came to collect information and present it to their countries, while they left us with a historical legacy that reveals the extent of their interest in studying Muslim societies, and informs us to know what was in the past after examining and checking it. The most important recommendations: to Establish centers for writing foreign studies, examining and auditing them.

**Keywords:** History- Saudi Arabia- Al-Ehsa'a- the writings of Western globetrotters.

# منهج الكتابة التاريخية عند الرَّحالة الغربيين في منطقة الأَحْسَاءَ من الفترة 1328.1353هـ/ 1910.1934م

**ماجدة عطية الله أحمد المجنوني**

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية || جامعة أم القرى || المملكة العربية السعودية

**الملخص:** تسعى هذه الدراسة إلى تقديم رؤية باعتبار أدب الرحلات فنًا من فنون الأدب العربي؛ ومصدرًا من المصادر الأثرية المساعدة لكتابة التاريخ. وتقديم صورة متنوعة حول منهج كتابات الرَّحالة الغربيين في أراضي شبه الجزيرة العربية عامة ومنطقة الأَحْسَاء وشعوبها بصفة خاصةً والتي تعود أهميتها إلى موقعها المتميز على ساحل الخليج العربي الذي يربط الغرب بالشرق. وكما رسمت مناهج كتابات الرَّحالة الغربيين من وجهات نظر مختلفة. بغية التوصل إلى منهج ملائم لدراسة أدب الرحلات بشكل عام، وإلى إلقاء الضوء على منهجية هؤلاء الرَّحالة في كتاباتهم وانطباعاتهم حوله منطقة الأَحْسَاء وحتى يمكن الخروج بتاريخ متكامل للمنطقة. ولتحقيق هذين الهدفين، يتطلب الأمر مراجعة الدراسات العلمية التي عنيت البحث.

واستخدمت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الإثنوتاريخي، وهو منهج قائم على اتِّباع أساليب المنهج الوصفي الإثنوغرافي، من خلال فحص محتوى كتابات الرَّحالة عينة البحث ومن ثم متابعة الوصف من واقع الملاحظات، وعلى جمع المادة العلمية من كتب الرَّحالة الغربيين خلال تلك الفترة، ومن ثم دراستها وتحليلها.

ولاستنباط واستخلاص النتائج من كتبهم وعلى أنهم رَّحالة وباحثون، ولكنهم في الحقيقة ما أتوا إلا لجمع المعلومات وتقديمها لدُولِهم، كما أنهم تركوا لنا إرثًا تاريخيًا يكشف مدى اهتمامهم بدراسة المجتمعات المسلمة، وتفيدنا بمعرفة ما كان موجودًا في الماضي بعد فحصه وتدقيقه.

أهم التوصيات: إنشاء مراكز لكتابة الدراسات الأجنبية وفحصها وتدقيقها.

**الكلمات المفتاحية:** تاريخ . المملكة العربية السعودية . الأَحْسَاء . كتابات الرَّحالة الغربيين.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله الرسول الأعظم، والنبي الأكرم، الذي بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ودعا إلى طلب العلم والمعرفة، وعلى آله وصحبه أجمعين. . وبعد.

اجتذبت أراضي شبه الجزيرة العربية- منذ القدم- اهتمام العلماء والباحثين، فكتبوا عن جغرافيتها وسكانها في عصرهم، وكانت كتاباتهم نتيجة لرحلات قاموا بها، أو لسماعهم أخبارًا من أشخاص زاروا المنطقة، أو سكنوا بها وعاشوا فيها، وقد حوت هذه الكتابات قليلاً من الحقائق وكثيرًا من الأساطير.

فأراضي شبه الجزيرة العربية منذ أقدم العصور، وما زالت محطة أنظار واهتمام الغرب الأوروبي لأسباب متباينة ودوافع مختلفة، فهي مهبط الوحي وملتقى الطرق التجارية، ونقطة اتصال مهمة بين الحضارات الأخرى، وبذلك اكتسبت أهمية خاصة، مما دفع الكثير أن يشدوا الرَّحال إلى أراضي شبه الجزيرة العربية، وكان لها أثرًا عظيمًا في نفوس شعوبها، و صدىً خارجيًا قوياً، وعِلاقاتها لدى الدول المجاورة.

كما تركز اهتمام دارسي الاستشراق في مجال الرحلات المتعلقة بالجزيرة العربية على مؤلفات المستشرقين والرَّحالة الغربيين إلى أراضي شبه الجزيرة العربية، وهي كثيرة ومتعددة، وقد ترجم عدد منها إلى اللغة العربية، ونخص بالذكر كتاب: (عبر الأراضي الوهابية على ظهر جمل)، وكتاب: (قلب الجزيرة العربية)، وكتاب: (في شبه الجزيرة العربية المجهولة)، وكتاب: (روايات غربية في شبه الجزيرة العربية 1900- 1952م، الجزء الثالث)، وكتاب: (واحة الأَحْسَاء)، وكتاب: (الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية)، وكتاب: (بلاد العرب القاصيةِ رحلات المستشرقين إلى بلاد العرب)، وغيرها من الرحلات الغربية للجزيرة العربية.

فاهْتمَّ هؤلاء الرحالة الغربيون بتسجيل ملاحظاتهم من لحظة خروجهم من موطنهم إلى حين عودتهم مرة أخرى، في تقارير ومدونات احتفظت بها حكوماتهم في سجلاتها ووثائقها؛ فهي تحتوي على معلومات تاريخية وجغرافية، وسياسية واجتماعية، وتجارية وعلمية، وأدبية، وتأتي الرحلات في مقدمة تلك الدراسات التي لم يلقِ عليها الضوء، ولذا جاء هذا البحث ليلقي الضوء على منهجية كتابات الرَّحالة الغربيين الذين مروا بمنطقة الأَحْسَاء ـ وتدونها في مدوناتهم وكتاباتهم وانطباعاتهم للمنطقة.

### مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في تنامي اهتمام المكتبات العامة بالجامعات لكتب الرحلات وأدبها، باعتبارها المصدر الأساسي للرجوع إليها بدراسة كتب الرَّحالة، وفي نتيجة لاحقة أفرز ذلك اهتماماً لإعادة استكشاف كتاباتهم وتسجيلها والحفاظ عليها، ومن جهة أخرى إن تزايد أعداد السياح الأجانب إلى أراضي شبه الجزيرة العربية الذين لديهم توقعات أكبر لاكتشاف أنماط تراثية لا تزال تحافظ بها المنطقة على أصالتها، وتأسيساً على ذلك تضمنت كتابات

الرحالة معلومات وافرة عن دقة وصفهم ومشاهداتهم للمنطقة، ولا يزال يحتاج مزيد من الاهتمام الباحثين في كتابة واكتشاف هؤلاء الرَّحالة وكتاباتهم وانطباعاتهم.

**أسئلة البحث:**

في ضوء ما سبق تتحدد مشكلة البحث في الأسئلة التالية:

1. ما منهجية الكتابة التاريخية التي اعتمدها الرَّحالة الغربيين في أراضي شبه الجزيرة العربية عامة والأَحْسَاء خاصة؟
2. ما مصدر المعلومات وما هي خلفية التحليلات والآراء التي أوردها الرَّحالة الغربيون عن العرب في منهج كتاباتهم المتتالية التي اكتشفت في القرن 13هـ/ 19 م؟
3. ما مدى دقة ووضوح نقلهم للحقائق التاريخية في المنطقة؟

**أهداف البحث:**

تهدف الدراسة إلى تحقق الآتي:

1- التعرف على هؤلاء الرَّحالة الذين زاروا منطقة الأَحْسَاء زمن البحث، ومعرفة منهجية الكتابة التاريخية التي اعتمدها الرَّحالة الغربيين في أراضي شبه الجزيرة العربية عامة والأَحْسَاء وحصر ما كتبوه وشاهدوه عنها.
2- الكشف عن مصدر المعلومات وخلفية التحليلات والآراء التي أوردها الرَّحالة الغربيون.
3- التعريف بتفاصيل المغامرات الشاقة التي قام بها الرَّحالة في أراضي شبه الجزيرة العربية عامة، ومنطقة الأَحْسَاء خاصة وأهدافهم منها.
4- فحص مدى دقة ووضوح نقلهم للحقائق التاريخية في المنطقة.

**أهمية البحث:**

1- يشَكْلَ أدب الرحلات فنًا من فنون الأدب العربي؛ لاحتوائها على عديدٍ من المعلومات، ومن ثم تعد مصدرًا من المصادر الأثرية المساعدة لكتابة التاريخ.
2- قد تسهم في إثراء الدراسات المتعلقة بكتابة منهج الرحلات الغربية إلى أراضي شبه الجزيرة العربية.
3- قد تفيد في تقديم صورة متنوعة حول منهج كتابات الرَّحالة الغربيين في أراضي شبه الجزيرة العربية عامة ومنطقة الأَحْسَاء وشعوبها بصفة خاصةً والتي تعود أهميتها إلى موقعها المتميز على ساحل الخليج العربي الذي يربط الغرب بالشرق.
4- قد تفيد في إبراز القيمة العلمية لكتاباتهم التي طرحوها لنا.

## منهجية البحث:

استخدمت الباحثة المنهج الإثنوتاريخي، وهو منهج قائم على اتِّباع أساليب المنهج الوصفي الإثنوغرافي، والتاريخي، ويقوم المنهج الإثنوغرافي على استقراء المادة الإثنوغرافية من خلال فحص محتوى كتابات الرَّحالة عينة البحث، ومن ثم متابعة الوصف من واقع الملاحظات الذي يقوم بدراستها الباحث، ويقوم هذا المنهج على جمع المادة العلمية من كتب الرَّحالة الغربيين، ومن ثم دراستها وتحليلها، لاستنباط واستخلاص النتائج من كتبهم. والمنهج التاريخي فيقوم على الكشف عن الحقائق والمشاهدات لمنطقة البحث. ودون أن تنس الباحثة المزاوجة بين المنهج

التحليلي والمنهج التاريخي للكشف عن الحقائق والمشاهدات المتكررة وتحليلها عبر فترات مختلفة في الماضي التي قام بها هؤلاء الرَّحالة لمنطقة البحث.

## الإطار النظري والدراسات السابقة:

تتناول هذه الدراسة نماذج من أعمال منهج كتابات الرَّحالة الغربيين؛ الذين تعاقبوا على منطقة الأَحْسَاء خلال المدة الزمنية من(1328-1353هـ/ 1910-1934م)، وهي التي ضُمِّت فيها الأَحْسَاء من قِبل الملك عبد العزيز رحمه الله إلى(الدور السعودي المعاصر. طيب الله ثراه . عام 1331هـ/ 1913م). ومن تلك الدراسات السابقة التي عثرت وتناولت بعض الجوانب ذات صلة بموضوع البحث ما يلي:

1. الفارس، أسعد. "الرَّحالة الغربيون في شبه الجزيرة العربية أهدافهم وغاياتهم". والشيباني، محمد. "أهداف الرَّحالة الغربيين وغاياتهم في الجزيرة العربية. تناولتا الحديث عن موضوع أهداف ودوافع الرحالة الغربيين إلى أراضي شبه الجزيرة العربية عامة، وكشفتا لنا جوانب متعددة، وقد سلطتا الضوء على الحقائق التاريخية لمكايدهم وغاياتهم، ومن الطريف أن هذه الرحلات الغربية جاءت امتدادًا لحركة الاستشراق.
2. العبد الجبار، عبد الله. "كتابات الرَّحالة الغربيين مصدرٌ لتاريخ شبه الجزيرة العربية القديم". مجلة الدارة. تناولت تلك الدراسة أهمية كتابات الرحالة الغربيين كمصدر أساسي لتاريخ أراضي شبه الجزيرة العربية القديم، كما أنها تعد المصدر الأول لدراسة التاريخ الحديث المعاصر، وجمع الرَّحالة فيها مادة غزيرة عن أحوال مناطق أراضي شبه الجزيرة العربية.

### المصادر والمراجع العربية:

1. الألوسي، محمود. تاريخ نجد، يعتبر من أهم الكتب التي تحدثت عن الأَحْسَاء كجزء من نجد، وقد أمدَّ الدراسة بأخبار عديدة ومتفرقة شملت موضوع الدراسة من عدة جوانب، تاريخية واجتماعية وحضارية.
2. عطا الله، سمير. قافلة الحبر للرحالة الغربيين إلى الجزيرة والخليج 1762- 1950م، وهو من الكتب القيمة والمفيدة، وهو عبارة عن يوميات ومذكرات بسرد قصصي لبعض الرحالة، وقد صاغَهُ المؤلف بأسلوب سهل وجيد.

### الرحلات والرحالة الغربيين لمنطقة الأَحْسَاء:

قصد منطقة الأَحْسَاء رَّحالة مسلمين قبل الرَّحالة الغربيين بفترات طويلة، ولما قدم الرَّحالة الغربيين تعددت أهدافهم لزيارتها ولعل أهمها "التجسُّس" خدمةً لحكوماتهم الاستعمارية، غير أن وصول هؤلاء الرَّحالة الغربيين إلى الأَحْسَاء كان أمرًا ميسورًا نسبيًا؛ لقربها من ساحل الخليج العربي، إلا أنها لم تحظ بنصيب وافر بالاهتمام إلا بإشارات طفيفة، وعابرة هنا وهناك و يعود ذلك إلى نقص الأمن، إلى جانب الإجراءات التي جعلت بعض رحلاتهم إلى داخل أراضي شبه الجزيرة العربية، تتطلب ترخيصًا رسميًا ودعمًا من بعض الجهات[1].

وشملت هذه الدراسة العناوين التالية:

أولاً: الرحلة مفهومها و دورها الأدبي والتاريخي

ثانيًا: منهجية الكتابة عند الرحالة

وقد انتهج هؤلاء الرحالة معايير وأسس سار عليها أكثرهم، تمثلت فيما يلي:

(1)(فيدال، 1410هـ/ 1990م، ص17).

1. الاِعْتِمَادُ عَلَى المُعَايَنَةِ وَالمُشَاهَدَةُ وَالإِسْتِفْسَارُ
2. دِقَّةُ الوَصْفِ
3. الإِفَادَةُ مِنْ الرِّحْلاتِ السَابقة

ثالثًا: القيمة العلمية للرحلات التاريخية

**أولاً: الرحلة مفهومها و دورها الأدبي والتاريخي:**

الرحلة قديمة قِدم الإنسان ذاته، والرحلة الأدبية تُعدُّ ارتحالاٍ في ذات الأديب وأعماق نفسه[2]؛ فهي لون من ألوان الأدب العربي، وأدب الرحلات يعتبر"مجموعة من الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعَّرض فيها لوصفِ ما يراه من عاداتٍ، وسلوكٍ، وأخلاقٍ؛ ولتسجيلٍ دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها تسجيلاً دقيقًا، أو يسرد مراحل رحلته مرحلةً مرحلةً، أو يجمع بين كل هذا في آنٍ واحد"[3].

وتعدُّ الرحلات وكتابات الرحالة مصدرًا مهمًا من مصادر دراسة التاريخ؛ لما لهذا النوع من أثرٍ في الدراسات التاريخية، والرحلات جزء لا يتجزأ من علم الجغرافيا، ويمثل أدب الرحلة لوناً أدبياً له بواعثه وخصائصه وأهدافه الواسعة، ولا يقل عن الميادين الأخرى[4].

ويتميز أدب الرحلات بتقديم وصف شامل ودقيق ومفصل للوضع الطبيعيّ لكل منطقة ومدينة، والتعرف على نوعيةِ المنطقةِ وتاريخها، ومقارنتها بما يتم العثور عليه، فيعتمد الرحالة في وصفهم على السكان المحليين بالداخل والخارج، بالإضافة إلى التقاطهم بعض النباتات الزراعية؛ لذا يعد أدب الرحلات جزءًا من متطلبات الحياة اليومية الاجتماعية[5].

فقد شهد(القرنان 13 و14هـ/ 19 و20م)، العديد من الرحلات الغربية إلى بلاد الشرق عامة، وأراضي شبه الجزيرة العربية خاصة؛ إذ يقول روبن بدول Bidwell,Robin" من المحتمل أن يكون ما كُتب عن الجزيرة العربية أكثر مما كُتب عن أي جزءٍ آخر من العالم"، وذكر أمثلة على ذلك: رحلات لودفيكو دي فارثيما Ludovico de Varthema[6]*، وجوزيف بتسJoseph Pitts[7]*، وكارستن نيبورCarstenNiebuh[8]*، والسير ريتشارد برتون Buton sir Richard[9]*،

(2)(فهيم، 1399هـ/ 1978م، ص 15، 18).

(3)(وهبه، والمهندس، 1405هـ/ 1984م، ص 17).

(4)(الحازمي، 1400هـ/ 1980م، ص30).

(5)(العبد الجبار، 1422هـ/ 2001م، ص44-45).

(6)*أول من الأوروبيين الذين استطاعوا وصف الحج إلى مكة، فكانت رحلته عام 909هـ/ 1503م، وأول من وصف جزيرة التوابل شرق جاوه، وهو أحد الحراس القافلة.

(7)*أول رحالة إنجليزي في التاريخ يزور مكة ويصف درب الحجاج من بلاد المغرب برًا وبحرًا إلى مصر فالحجاز، وهو ثاني رحالة أوروبي يزور مكة بعد رحلة لودوفيكو فارتيما الأولى ويدعى نفسه الحاج يوسف.

(8)*رحالة هولندي، كان أول رحالة أوروبي يدخل إلى أراضي شبه الجزيرة العربية، ويقدم وصفًا تفصيليًا دقيقًا حول رحلته، وألف كتابه" "Travels in Arabia، والذي صدر عام 1207هـ/ 1792م.

(9)*بدأ رحلته وعمره يناهز32عامًا، ولقبه "بالحاج"، وطاف بلدان العالم الإسلامي، وقام بمسح جيولوجي لأراضي لم تسمح من قبل، وعبر صحراء جنوب أراضي شبه الجزيرة العربية، ومن آثاره الحج إلى مكة والمدينة.

وبلجريف Palgrave*[10]، و تشارلز دواتيCharles Doughty*[11]، وهاري سينت جون فيلبي(عَبْد الله فيلبِّي) H. St. JohnB. Philby*[12]وغيرهم[13].

قال حسين فهيم عن الرحلات الغربية سواء كانت برية أو بحرية: "لقد دعمت الرحلة، بريةً كانت أو بحرية، بطريق مباشر أو غير مباشر النشاط الاستعماري الذي بلغ أوجَهُ في(القرن 13هـ/ 19م)حين اتسعت القاعدة الاقتصادية في أوروبا. . الأمر الذي كثَّف من نشاط الرحلات بغية الكشف والتوسع الإقليمي"[14].

لا شك في أن منهج الكتابة عند الرَّحالة يختلف عن أسلوب الصناعة التاريخية عند المؤرخ إذ لا يتقيد الرَّحالة بطريقة المؤرخين في عرض الحوادث ولا يعتمد الأسلوب الزمني على غرار الحوليات، ولا يجد البعض منهم نفسه ملزماً بالتدقيق بسلاسل إسناد رواياته سوى اعتقاده أن ما سمعه يكفي أحياناً كي يدون في رحلته، وهذا الأمر لا ينطبق على كل الرحلات فمنذ نهاية القرن الثالث الهجري وبدايات القرن الرابع الهجري بدأت رحلات تجارية أحياناً واستكشافية أحياناً أخرى.

**ثانيًا- منهجية الكتابة عند الرحالة:**

وقد انتهج هؤلاء الرحالة معايير وأسس سار عليها أكثرهم، تمثلت فيما يلي:

- الاِعْتِمَادُ عَلَى المُعَايَنَةِ وَالمُشَاهَدَةُ وَالإِسْتِفْسَارُ:

إنَّ الأصل في كتب الرحلات أن تكون مبنية على المشاهدة والمعاينة، والمشافهة والاستفسار المباشرة، وما سمعه الرحَّالة أثناء رحلاتهم، وليست مبنية على كتب ونصوص؛ إذ قد يدخل في بعضها الخرافات والأوهام، وعليه فالرحالة سجلوا كل ما مر عليهم بحس واعٍ، خاصة أن هؤلاء الرَّحالة الغربيين غربيين عن تلك البيئة التي يتنقلون فيها، لذا سجلوا كل ما لفت انتباههم سواء كان صغيراً أو كبيراً.

فوصفوا كل ما على الأرض من: عمائرها وخرائبها، وصحاريها وحدائقها المليئة بالأشجار والنخيل، وأنواعها المثمرة، والمحاصيل، والطريقة المتبعة في حصادها، ومن يقوم بالاهتمام بكل ذلك.

فالرحالة الكابتن البريطاني **وليام هنري شيكسبير William H. Shakespear***[15]، ذكر أنه قد شاهد كثيرًا من الأحداث، ودوّنها في رحلته في تقارير ومدونات، بالرغم من تصريحه بأن دافع رحلته قائم على ملاقاة الملك عبد العزيز رحمه الله لدى وصوله المقرر إلى الأَحْسَاء ولزم الحياد إلى جانب بريطانيا إبان الحرب العالمية الأولى، وقد استعد نفسياً ووطد

---

(10)*رحالة بريطاني وجندي راهب، وعميل سري وجاسوس، كانت رحلاته مثيرة للجدل في أراضي شبه الجزيرة العربية، رغبته في توصيل مياه الخليج العربي بمياه أوروبا، وألف كتابه في مجلدين بعنوان "وسط الجزيرة العربية وشرقها".

(11)*من أشهر رحالة الذين زاروا الأجزاء الشمالية والوسطى والغربية من أراضي شبه الجزيرة العربية بين عامي 1293.1295هـ/ 1876.1878م، هدفه الأول هو البحث عن جذور مسيحية في المشرق الإسلامي، من أثاره رحلات في الصحراء العربية.

(12)رائد من رواد الرحالة الغربيين إلى المشرق، خاصة أراضي شبه الجزيرة العربية، ومؤرخ للكتابة التاريخية، دبلوماسي، أتقن العديد من اللغات كالفارسية والهندوستانية وغيرها، امتدت رحلاته على مدى أربعين عامًا في أراضي الجزيرة وألف خلالها أكثر من خمسة عشر كتابًا باللغة الإنجليزية، وإضافة إلى عشرات من المقالات التي دارت حول أراضي شبه الجزيرة العربية.

(13)(بِدُوَل، 1409هـ/ 1989م. ص7)؛(العبد الجبار، 1422هـ/ 2001م، ص 24).

(14)(فهيم، 1399هـ/ 1978م، ص32).

(15)*كانت رحلته عام 1328هـ/ 1910م، إنجليزي الأصل، قدم إلى الأَحْسَاء عام 1329هـ/ 1911م، وكانت الأحْسَاء يومئِذ تحت الحكم العثماني، فقدر له أن يدون شيئًا عن رحلته وقد أسهم ذلك بعض الشيء في التعريف بالمنطقة، وقد قابل الملك عبد العزيز رحمهُ الله، ولم يكتب له أن يعيش طويلاً، فقد قُتِل في معركة جراب عام1333هـ/ 1915م، ولم يؤلف له كتاباً في رحلته.

العزم على اجتياز منطقة صحراوية مجهولة[16]؛ فنجده عندما قدم من البحرين إلى ميناء العقير أول ما لفت نظره الكثبان الرملية، وكان ذلك في سنة 1331هـ/ 1913م، وشاهد المبنيين الموجودين بالعقير: مبنى الجمارك والسراي(القصر)[17]، وبعد إصرار شكسبير على مواصلة السير بعد موقع الحفر، توجه إلى الجانب الغربي موقع الكِلاَبِيَّةُ*[18]، ودرس آثار جدرانها المهدمة، وآبارها الجافة، وجذوع نخيلها المُنعقرة، فلم يهمل شيئًا من اهتمامه بالموقع وتدوينه؛ اتباعاً لما درج عليه الرَّحالة الغربيون، فدوَّن كل شيء يتعلق برحلته[19].

وبما أن رحلة **باركلي رونكيير Barclay Raunkiaer***[20]كان الهدف منها الاهتمام بأمر المزروعات، فقد كان أول ما لفت انتباهه تلك المزروعات التي امتلأت بها الأَحْسَاء من النخيل والبساتين المثمرة في الهفوف؛ لدرجة أنه انعقد لسانه عن وصفها[21].

بينما يُعدُّ الرحالة عبد الله فيلبي من الرحالة الموسوعيين، الذين لم يتركوا شيئًا إلا وأشاروا إليه، ووصفوه بدقة، وسجلوا يوماً بيوم وساعة بساعة، من ذلك تسجيله سعر صرف العملة المستخدمة في أراضي شبه الجزيرة العربية، ومشاهدته مجموعة من الغزلان، واعتراض غزالةٍ وحيدة طريقه بين التلال الرملية، وتسجيله يؤكد غنى صحراء الدهناء بالنباتات الصحراوية، وما يوجد خلفها من مَرَاعٍ خصبة[22].

وأما اهتمام الرَّحالة **تشيزمان E. Cheesman. Major R***[23]فكان بالحيوانات أكثر؛ لذا جاء وصفه ومشاهداته أكثر من غيره من الرحالة، فتحدث عن الطيور والحيوانات والحشرات، وخص النخلة بجزء من حديثه، وقال: إِنَّ النخلة للعربي مثل الإبل للبدوي، كناية عن اعتمادهم الأكبر عليها في حياتهم وغذائهم، ولكن النخيل في مدينة الهفوف يتم إطعام الإبل بِتَمرْه أولًا ثم بالبرسيم ثانيًا[24]لكثرته.

---

(16)(العناني، 1397هـ/ 1979م، ص473)؛(العثيمين، 1419هـ/ 1999م، ج2، ص294).

(17)(محمود، 1431هـ/ 2010م، ج4، ص 18).

(18)*الكِلاَبِيَّة: قرية تقع شرق مدينة المُبَرَّز، وتحيط بها الرمال من جميع جهاتها. (الجاسر، 1399هـ/ 1979م، ج 4، ص 1513).

(19)(العناني، 1397هـ/ 1979م، ص472).

(20)*كانت رحلته عام 1330هـ/ 1912م، دانماركي، سبب رحلته هو قيامه بتهيئة قاعدة رئيسية دنماركية في صحراء جنوب أراضي شبه الجزيرة العربية التي لم تكن معروفة من قبل، وله كتاب(عبر الأراضي الوهابية على ظهر جمل)وترجم إلى العربية، شخصيته المتغطرسة، كان نموذجًا في رصد مشاهداته عن الأَحْسَاء، وإعجابه الشديد بها.

(21)(رونكير، 1424هـ/ 2003م، ص 28، 35.36، 201، 204).

(22)(فيلبي، 1424هـ/ 2004م، ج1، ص 15، 19، 39. 40، 95، 91).

(23)*كانت رحلته عام1341هـ/ 1921م، بريطاني الأصل، وتعد رحلته للجزيرة العربية من بين الرحلات الغربية الأخرى، فهو قد أتي لدراسة طيور شرق أراضي شبه الجزيرة العربية، فجاءت كتابات رحلته مليئة بالمعلومات السياسية والجغرافية والآثار والاقتصاد وغيرها، وله كتاب(في شبه الجزيرة العربية المجهولة)، وقد ترجم إلى اللغة العربية. ويعد بحق من المصادر المهمة التي قدمت مادة علمية ضرورية.

(24)(تشيزمان، 1419هـ/ 1998م، ص 94. 95).

واتسمت مشاهدات الرحالة **جيرالد ديجوري Gerald De Gaury**[*(25)] بالتعميم، مع حرصه على تفحُّص المنطقة قدر الإمكان من وقت خروجه من البحرين وحتى مقابلته الملك عبد العزيز رحمه الله فنجده بمجرد وصوله إلى ميناء العقير قال عنه: "الميناء الرئيسي التجاري لشرق المملكة، ويبلغ عدد سكانه حوالي 500 نسمة، وهو عدد كبير بعض الشيء، إلا أنه يعتبر مؤشرًا جيدًا لتطوير الميناء وازدهاره"[(26)].

كما برع جميع الرَّحالة الغربيين فيوصف الطرق التي سلكوها بدقة شديدة، مع وصف إحساسهم سواء كان خوفًا أو هدوءًا، ولأن الطرق التي سلكها الرَّحالة كانت صحراوية، فقد حرصوا على تعيين أماكن الماء، فمثلًا عندما وصلوا إلى الأَحْسَاء حددوا مواقع عيونها، ومدى غزارتها وعذوبتها، بعد قيامهم بتذوقها، كما تقصوا عن تاريخ هذه العيون، هل هي من الأحباس[*(27)] أم هي من عمل الدولة لخدمة السكان؟ فمثلًا: نجد أن الرَّحالة شكسبير أثناء رحلته عام 1328هـ/ 1910م، مر على الدبدبة[*(28)]، ومنها إلى اللصافة[*(29)]، ثم اتجه إلى وادي الشُعَيبْ[*(30)]، ثم آبار الحفر التي تعد من موارد المياه الأساسية في حفر الباطن، فتوقف محددًا مكانها، ومقدار عمق الماء بها، ثم اتجه إلى الزبير[*(31)] مارًا بقصر بلال[*(32)]، والخرجاء[*(33)]، إلى أن وصل إلى سهل الزبير، فدوَّن مظاهر التضاريس والمناخ به بدقة، مستعيناً بالآت القياس لتمييز حالة الجو، من: الرطوبة أو الحرارة أو الجفاف، مع تحديد اتجاهات الرياح، وتحديد درجات الحرارة، وكثافة الأمطار أثناء رحلته[(34)].

ولم يشذ الرَّحالة رونكيير عن تتبع أماكن وجود الماء في الطرق التي سلكها، سواء كان عذباً أو مالحاً، فالماء ينعدم في بعض المناطق مثل منطقة السبخة الكبيرة، جنوب الطريق الواصل بين الهفوف والعقير، وعندما وصل باركلي إلى هناك أشار بحفر حفرة عمقها مترٌ ونصف، فنُفِّذ اقتراحه، وظهر الماء الذي يتراوح بين الملوحة والعذوبة، فتزودوا بالماء، وسقوا بغالهم[(35)].

وكان الرَّحالة فيلبي حريصًا على تقصى أماكن وجود المياه، خاصة في المنطقة القريبة من ميناء العقير، والتي وصف تربتها بالملوحة، وذكر وجود بعض الأعشاب والنباتات، ونجد مما لفت انتباهه أشجار النخيل القزمة، وقال

---

(25)*كانت رحلته عام 1353هـ/ 1934م، بريطاني الأصل بعد أن اكتملت مسيرة التوحيد في المملكة العربية السعودية، جاء مبعوثاً من بلاده لمرافقة أول وزير بريطاني يزور المملكة وتركزت ملحوظاته في رصد التغيرات الحاصلة في البلاد، فهو قد جاء فترة متأخرة عمن سبقوه، قام بعديد من الرحلات واختص جزءًا من رحلته فيما يتعلق بالأحساء والهفوف.

(26)(محمود، 1431هـ/ 2010م، ج4، ص 188ـ189):(عطا الله، 1415هـ/ 1994م، ص 259، 270).

(27)*الأَحْباس: جمع حبْس، وهو مكان تجمُّع الماء. (مجمع اللغة العربية، 1425هـ/ 2004م، ص152).

(28)*الدبدبة: منطقة واسعة تقع شرق الصمان وهي أرض مستوية، وتعرف قديمًا باسم الدّوَّ، ولعل اسمها مأخوذ من دبدبة الصوت.

(29)*اللصافة: تعرف قديمًا لصاف، وهي منازل لقبيلة إياد، وتقع في أعالي الشيَّطين في مفيض شعيب فيصل شمال القرعاء، وبها موقعة مشهورة وقعت أبان الدور السعودي الأول، فقد مهدت لإزالة حكم بني خالد عن الأَحْسَاء.

(30)*وادي الشعَيبْ: يقع غرب مدنية الهفوف، وتبعد عن اللصافة خمسين كم تقريبًا.

(31)*الزّبير: تقع في صحراء جنوب مدينة البصرة، وهي من مدن العراق، وتعد المحطة الأولى في طريق من البصرة إلى الكويت أو نجد.

(32)*قصر بلال: يقع في وسط الباطن على بُعد 25ميلاً أسفل الحَفَر، وهو آثار من الحصن الطيني القديم، ولا يوجد شيء مهم عن هذه الأطلال، وأن كان العرب يعزونها إلى بني هلال من عصور ما قبل التاريخ.

(33)*الخْرجَاء: يُنسْب ماء إلى جعفر بن سليمان، فهو الذي حفرها، وهي قريبة من الشجي، تقع بين البصرة وحفر أبي موسى، وسميت بذلك لأن أرضها تركيبها حجارة بيضٌ وسود.

(34)(العناني، 1397هـ/ 1979م، ص 471ـ 472ـ 475).

(35)(رونكيير، 1424هـ/ 2003م، ص 207، 212).

عنها: أنها تبعُدُ عن العقير مسافة ميلين، كما وصف حركة الأمواج عندما استقلَّ مركباً من البحرين إلى العقير، مع وصفه للمناخ الذي قال عنه عندما غادر الهفوف: إنَّ هناك نسمة عليلةٍ تخفف من درجة الحرارة، وإنَّ البرودة تزداد ليلاً، وترتفع درجة الحرارة نهارًا، وقد قال ذلك اعتمادًا على أجهزة قياس درجات الحرارة(36).

وركز الرَّحالة رونكيير على ميناء العقير*(37)، مصرّحًا: بصلاحيته للملاحة وصيد اللؤلؤ، ووصف السفن الراسية به، وبيّن وجود بعض الآبار المالحة حوله(38).

ومر كذلك الرَّحالة تشيزمان على مزرعة بها بئر مالحة، وقد استفاد بها في سقي نبات البرسيم، بعد أن أُقيمت عليها رافعة لتسهيل خروج الماء منه، وبالقرب من الكثبان الرملية هناك تقع بئر عذبة يعتمد عليها سكان العقير في سقياهم(39).

ولأن الرَّحالة الغربيين الذين تم الاعتماد عليهم، كانوا مكلفين بالقيام بمهمات لحكوماتهم فقد حرصوا على كتابة تواريخ تنقلاتهم بالسنة والشهر واليوم والساعة، محددين أوقات سيرهم ليلًا أو نهاراً، فالرَّحالة شيكسبير مثلًا استعان بالآلات لتحديد خطوط الطول والعرض، وارتفاع الأرض عن مستوى سطح البحر في كل جزء سار عليه في أراضي شبه الجزيرة العربية(40).

وكان الرَّحالة رونكيير كثيراً ما يعلل سبب تغير حالة الجو، وعندما خرج من الكويت متجهاً إلى داخل أراضي شبه الجزيرة العربية مرَّ على وادٍ محاطٍ بالجبال، فقال: "إنه كان من المستحيل أن يحتفظ بأي جدول لدرجات الحرارة والرطوبة؛ لأن الفوارق بين وقت وآخر من النهار والليل كانت كبيرة، فلم يتسع له التسجيل بشكل منتظم لتلك التقلبات الجوية"، كما سجَّل توقعات درجات الحرارة في شهري الربيع/ مارس وأبريل، جنوب الكويت، وعندما كان في شرق أراضي شبه الجزيرة العربية خاصة الأَحْسَاء قال عنها: إنَّ طقسها فيه لا يختلف عن باقي أراضي شبه الجزيرة العربية، إلا أن الرطوبة فيها كبيرة، ويتكون بها الضباب في الغرب من شواطئ المنطقة. وحرص على تأمل المناطق الرملية، والتعرف على أسباب تكونها بفعل الرياح القوية، كما أشار إلى مساحات من الأراضي الزراعية محاطة بالرمال.

وربما يستعين الرَّحالة الغربيون- عندما تطول رحلتهم، ويشعرون بطول المسافات- بالمبادرة إلى التأكد من سلوكهم الطريق الصحيح بسؤال أهل المنطقة، مثلما فعل الرحالة رونكيير.

وسار الرَّحالة الغربيون على نهج الرَّحالة الجغرافيين عندما دونوا معاجمهم، فنجدهم أعادوا تسميات الأماكن مع إعطاء نبذة تاريخية عنها، سواء من كتب سابقة أو من مشافهة السكان، فالرَّحالة رونكيير تحدث عن تاريخ"العقير"، ثم بادر لوصفها فقال: " قلعة طينية صغيرة، ومحطة للقوافل، يقف على شاطئها حوالي اثنا عشر قارب من قوارب السفن، وأعطى رؤيته للمنطقة والعيش فيها"(41).

---

(36)(فيلبي، 1424هـ/ 2004م، ج 1، ص 33، 35، 46، 48.49، 100، 102).

(37)*ميناء العقير: يعدُّ أحد المواقع الأثرية القديمة والقريبة من الأَحْسَاء، أول الموانئ البحرية والرئيسية في ساحل الخليج العربي، ويُعرف قديمًا بـ الجرعاء.

(38)(رونكيير، 1424هـ/ 2003م، ص 194).

(39)(تشيزمان، 1419هـ/ 1998م، ص 54ـ 61، 64).

(40)(العناني، 1397هـ/ 1979م، ص 471ـ 472).

(41)(رونكيير، 1424هـ/ 2003م، ص159، 196، 204، 209، 207، 217، 218).

واسترعى انتباه الرَّحالة الغربيين هطول الأمطار أثناء سيرهم في أراضي شبه الجزيرة العربية، فعلى سبيل المثال ذكر الرَّحالة رونكيير: "تسقط عمومًا الأمطار في أراضي شبه الجزيرة العربية على شكل عواصف مطرية عنيفة، تأتي غالبًا مصحوبة برياح قوية من الجنوب الغربي، وكما يقول عنها أهل نجد: تسود في شرق أراضي شبه الجزيرة العربية رياح شمالية لكنها جافة"، ولفت انتباههم أثناء سيرهم تجاه مرتفعات خشم العان*(42) ظهور غيوم مع رياح جنوبية غربية معتدلة، فاتجهوا شمالًا، فبدأ المطر بالهطول عليهم، واستمر مدة ربع ساعة، ثم توقف المطر، وبعدها أصبح الجو معتدلاً جافًا(43).

**دِقَّةُ الوَصْفِ:**

اتسم وصف الرَّحالة الغربيين بالدقة، وبأسلوب فني تأثر بالعوامل الجغرافية والتاريخية، والاجتماعية والعلمية التي أشاروا إليها، وبالنواحي الشخصية لكل منهم من حيث التصور والتأثر، والخبرة الشخصية، والثقافة العامة، ودقة الملاحظة التي يتفاوت فيها الرَّحالة الغربيُّون من شخص إلى آخر، فحاولوا الاعتماد على الواقع المشاهد، مبتعدين عن الخيال، كما اعتمدوا على كتب سابقيهم من الرَّحالة الغربيين، واستفادوا منها شيئًا كثيرًا، ثم أضافوا ملاحظاتهم، وهم في طريقة تناولهم للموصوف قليلو التكلف في تحسين وتزيين الأسلوب؛ خلافًا لمن سبقهم من الرَّحالة الغربيين في القرون السابقة.

كما في رحلتي بلجريف وفيلبي في صحراء أراضي شبه الجزيرة العربية؛ حيث ذكر بلجريف في بريدة نوعًا من الوصف الغريب لكيفية السفر بالإبل، وأن رأس كل منها يربط بحبل إلى مؤخرة الذي يسبقها، فقال: "سلسلة كاملة من الجمال، خطام كل منها مربوط بحبل في مؤخرة الجمل الذي يسبقه، وفي سفرهم يضايقون جداً من يقابلهم في الطريق في منعطف ضيق"(44)؛ بينما علق الرَّحالة فيلبي على ذلك بقوله: "من المؤكد أن طريقة ربط حيوانات القافلة بهذا الشكل غير منتشرة في صحراء أراضي شبه الجزيرة العربية، والمرة الوحيدة التي قابلتها طوال مقامي في البلدة كانت في الطريق بين الطائف ومكة في الحجاز"(45).

إن ما سجله الرَّحالة الغربيون في رحلاتهم تدعو القارئ إلى التشوق لرؤية ما وصفوه، وسنحاول التدليل على هذا الأمر بمقتطفات من أقوالهم التي نلاحظ تأثُّرها بشخصية كل رحالة فيما يصفه سواء في الدقة أو الإهمال، فهذا الأمر عائد إلى اختلاف شخصياتهم واهتماماتهم، فمثلًا: الرحالة البريطاني شيكسبير الذي كان شاباً لم يتجاوز 38 عامًا، ممتلئاً حماساً ومتدفقاً حتى في أخطر المواقع، واشتراكه في معركة (جراب)*(46) التي أصر على عدم تغيير زيه

(42)*خشم العان: يعرف الآن بـ(الجُبَيْل)سلسلة جبلية تمتد في موضعين: الأول في الميناء المشهور شمال الساحل الشرقي بالمنطقة الشرقية، ويسمى بـ(عَيْنَيْن)، والثاني سلسلة جبلية شرق الرياض التي بها(خَشْمْ العَان)و(هِيْتَ)، وتمتد هذه السلسلة من الشمال إلى الجنوب، وطرفها الشمالي عند نهاية روضة الجنادرية.

(43)(رونكيير، 1424هـ/ 2003م، ص 192، 218).

(44)(بلجريف، 2001م، ج 1، ص 346).

(45)(فيلبي، 1424هـ/ 2004م، ج1، ص 300).

(46)*معركة جراب: حدثت في سنة 1333هـ/ 1915م، بين ابن سعود وبين سعود بن عبد العزيز بن رشيد، بعد أن سبب العثمانيون المتاعب لأبن سعود بسبب دعمهم المتواصل لجبل شمَّر، فدارت تلك المعركة بعد مناوشات متقطعة، حتى تمكن ابن سعود من ضربها وضمها تحت حوزة الدور السعودي الثالث.

الأوروبي فيها، بالرغم من نصح الإمام عبد العزيز رحمه الله له، مما أدى إلى أن يكون هدفًا سهلًا، فقتل في تلك المعركة، وقد التقط الكابتن شكسبير بعض الصور أثناء تجهيز الإمام عبد العزيز رحمه الله لتلك المعركة.

فشخصيته أضافت على وصفه الدقة؛ فهو عندما مر على صحراء الدهناء، قال عنها: "ذلك الحزام الرملي الواقع بين النفوذ الشمالي ورمال نجد في الجنوب على هيئة هلال واسع"، وكذلك أشار إلى تعدد أنواع النباتات، وكثرة الغزلان[47].

أما الرَّحالة رونكيير فيظهر من أسلوبه التعالي والغطرسة، والابتعاد عن الغوص في وصف الجزئيات التفصيلية، فوصفه عام، كما يبدو من شخصيته التنظيم من خلال ترتيبه لكتابات رحلته من حيث وضع العناوين، لما أرد الحديث عنها. ولتوضيح طريقة تعاليه أذكر وصفه اللاَّذع لشخصين، حيث قال عنهما: " كأنهما كلبان يجلدان بالسياط".

وكان كلامه في الغالب يميل إلى احتقار البدو؛ حيث وصف بعضاً منهم فمّن شك في أمرهم تخوَّف من هجومهم على مؤخرة القافلة، فقال عنهم: "عاد رجالنا ببنادقهم يسوقون أمامهم أولئك البدو، الذين بدوا وكأنهم كلاب ذليلة خرجت لتوها من مستنقع بارد"، كما ذكر رونكيير: "كانت أشكالهم توحي بعدم الثقة بملابسهم الرَّثَّة، وصراخهم مع بعضهم البعض، كمجموعة من الغربان"، وكذلك عند وصفه للمطوع*[48] الذي رافق رحلة القافلة قال: "إنَّ هذا الرجل الذي أُوكِلتْ إليه مهمة مراقبتنا منذ حين وصولنا، كان وهّابيًا كئيبًا متزمتاً، زاد من تجهُّمه الكحل الأسود الذي كان يصبغ به دائمًا عينيه وحواجبه، وكانَ يمدّ الكحل خارج عينيه؛ لدرجة أنّ جفونه تبدو وكأنها متصلة بأذنيه"[49].

ولم يسلم من وصفه اللاّذع المحاربون معه في القافلة، فذكر أنهم لا يجيدون إصابة الهدف ببنادقهم، وأنهم قد يصيبون رؤوس إبلهم، ولا يصيبون الأرانب في الصحراء فقال: " قبل السادسة صباحًا بقليل، كانت القافلة تتخذ طريقها مرة أخرى نحو وجهتها. . . شاهدنا مجموعة من الغزلان، إلا أنَّها كانت تختفي بسرعة البرق داخل السراب، أو خلف الأفق، من ناحية أخرى، كانت الأرانب تبقى في مكانها إلى أن يطأ البعير فوق كومة العشب التي اختارتها لتأخذ قسطًا من الراحة أو النوم، وكان الإغراء كبيرًا لاستبدال الطعام المألوف بلحم أرنبٍ مشوي، إلا أنّ احتمال إصابة رأس بعير من مسدس بدلًا من إصابة الأرنب نفسه كان كبيرًا". وإلى غير ذلك من الأمثلة التي ذكرها الرَّحالة رونكيير والتي تعكس نظرته السلبية عن سكان أراضي شبه الجزيرة العربية[50].

بينما كان الرَّحالة فيلبي ماهرًا في جمع معلوماته بدقة ومهارة، وإعادة صياغتها كتابيًا، فكان من الشخصيات المهمة في تاريخ البلاد العربية، ومن أوسعهم اطلاعًا ومعرفة، لم يسبقه أحد من أبناء جنسه. وكان من أكثرهم تأليفًا، فصنف مؤلفات تحدث فيها بالتفصيل والإسهاب عن تاريخ جزيرة العرب، فمثلًا: عندما تحدث عن مرافئ الأَحْسَاء الثلاثة في التجارة، خص(القُطيف) و(الجُبيْلُ)باقتصارهما على تصريف المنتجات الزراعية، أما العقير فنصَّه على

(47)(العناني، 1397هـ/ 1979م، ص467، 474).

(48)*المطوع: هوالمعلم تختلف مسمياته حسب مكانته العلمية والثقافية، ومن مسمياته الشيخ والمُلاَّ والمطوع، والذي رافق القافلة في رحلة باركلي رونكيير.

(49)(رونكيير، 1424هـ/ 2003م، ص104، 112، 116، 161).

(50)(رونكيير، 1424هـ/ 2003م، ص22، 16، 110).

قيامه بدور بارز في التجارة الداخلية والخارجية، وأشار إلى اعتماد أهل المنطقة على الجمال وسيلة للمواصلات ونقل المتاجر[51].

أما وصفه الجغرافي للمناطق التي مرَّ عليها فيمثله ما ذكره عن وادي أبي جِيفان*[52] بأنه: "منخفض كبير في السَّهب، وبها مجرى من مجارى السيل، وتتخلله كتل صخرية متناثرة، ويصل عرضه إلى ستين ياردة*[53]تتخللها بين صخور وعرة يتراوح ارتفاعها بين خمسين ومائة قدم، بينما الآبار بها تقع في وسط الوادي، ويصل عدد الآبار بها إلى خمسة وعشرين بئرًا، بعضها يستعمل والآخر مدفون تحت الحطام، وأفضلها ما كان يصل عمقه إلى أثنى عشرًا قدمًا"[54].

ولما كان الرَّحالة تشيزمان على إلمام بالعلوم الجيولوجية، فقد جاءت مشاهداته لجغرافية مدينة (سلوى) مبنية على فحص دقيق؛ فقد رسم مخططًا لخريطة الساحل الممتد من العقير إلى سلوى، لم يسبق إليه، ولم يكتشفه أحد قبله من الرَّحالة السابقين، كما وصف جزيرة الزخنونية وتلَّها بأنهما: "كائنان من الرمل، في منطقة جرداء، مقام عليها مشروع بيتٍ حجريٍّ"، كما أكد على قلة النباتات وأشجار النخيل بها، مع وجود بعض الجمال، وقد لفت نظره تجمُّع الطيور المهاجرة في موضعٍ خلف التلال العالية.

وكذلك عندما وصل تشيزمان إلى يبرين*[55]بعد رحلة مضنية برفقه دليله صالح الذي ينتمي إلى قبيلة آل مرة، والذي كان يتحدث طوال الطريق عن جمال يبرين وعيونها الجارية مثل الهفوف، فيما جاءت انطباعات تشيزمان عن المنطقة غير ما كان يشتهي: " كان انطباعي الأول عن واحة يبرين على الأصح محبطاً، فقد كانت أشجار النخيل مهملة تشبه الشجيرات البرية، وعلى الرغم من هذا الإهمال، فإن كمية كبيرة من التمور تنتج هنا كل عام، وكان صالح قد واصل أوصافه الوردية حول نار المخيم، ثم اختفت الجداول الجارية والسهول التي تعج بالحباري والغزلان مجردة من كل أمجادها الخيالية، كانت يبرين تمثل فقط بقايا حضارة قديمة حاملة معها صراعًا غير متكافئ ضد الرمال، التي تطوقها من كل جانب"[56].

وحين دخل جيرالد ديجوري أراضي شبه الجزيرة العربية قدم لنا وصفاً جلياً عما شاهده أو سمعه؛ حيث تميز أسلوبه عن غيره بدقتة في الوصف، وحرصه على ذكر التفاصيل، وظهر ذلك في وصفه أثناء رحلته إلى الهفوف عاصمة الأَحْسَاء، حيث اندهش من رمالها وقال عنها: بأنها"رمال ذهبية"، وكانت الرمال تقف معترضة ظلالهم، وتنحدر عليهم أثناء طريقهم[57].

---

(51)(فيلبي، 1424هـ/ 2004م، ج1، ص36، 41).

(52)*وادي أبي جيفان: يقع في جنوب العَرَمَة الجنوبية، ومن أشهر الأودية لوادي العَرَمَة، وهو من المياه الغزيرة المشهورة بالطعم الجيد والرائحة العطرة.

(53)*اليادرة: جمع ياردات، وتساوي ثلاثة أقدام. (عمر، 1429هـ/ 2008م، ج3، ص 2506).

(54)(فيلبي، 1424هـ/ 2004م، ج1، ص99).

(55)*يَبْرِينَ: يقع جنوب الأَحْسَاء، بها عيون ونخيل يسكنه قليل من أهل البادية، وله كثبان ناعمة تغنى به الشعراء.

(56)(تشيزمان، 1419هـ/ 1998م، ص 65ـ 66، 289، 328).

(57)(Alsaleh, 100 Years,p. 17).

**الإِفْادَةُ مِنْ الرِّحْلاتِ السَابقة:**

اعتمد الرَّحالة الغربيون على كتب سابقيهم؛ فقد كان ذلك من الأسس التي قام عليها فن كتابة الرحلات لدى كبار الرَّحالة، حيث يصف اللاحق ما غاب عن السابق، أو ما جدّ بعده وتغيّر، فيتكون بذلك تاريخ متصل عن المنطقة التي مروا بها، مثل الرَّحالة شيكسبير الذي كان يحمل رحلة الكابتن بلجريف في أواسط وشرقي أراضي شبه الجزيرة العربية في منطقة الأَحْسَاء والبلدان المجاورة لها، وكذلك الرَّحالة البريطاني عبد الله فيلبي الذي صحَّح بعض تفاصيل رحلات بلجريف[58].

كما نستطيع من الناحية الجغرافية أن نستخرج معجماً للأماكن التي مر عليها الرحالة الغربيُّون، وإن كانت هناك بعض الأخطاء في أسماء ومدن المواقع فيمكن تصحيحها من المعاجم الجغرافية الخاصة من قبل أهل المنطقة.

إن الرحلات الغربية تعتبر مدوناتٍ صغيرة الحجم، ولكنها غزيرة المعلومات، لا يُعرف ما بداخلها إلا بعد القراءة والتأمل، واستخلاص المعلومات السياسية والاقتصادية والإدارية، لذا اعتنى العلماء الأوربيون كثيراً بدراسة الجزء الغامق من أجزاء أراضي شبه الجزيرة العربية، وقد أخذت الرحلات تزداد سهولة، فأخذوا يسافرون إلى رحلات طويلة، وأرسلوا مجموعة من الرَّحالة، ومثل مجموعة الرحالة نيبور إلى الجزيرة، فنقل لهم أول خبر عن الدعوة الإصلاحية[59]، وكان منهم أيضًا عملاء استعماريون هدفهم مصلحة حكوماتهم[60]؛ بالإضافة إلى رحلات الرَّحالة بلجريف التي اتسمت بعض مشاهداته في أراضي شبه الجزيرة العربية بأنها خيالية، كبعض مشاهداته في سلسلة جبال لم يشاهدها الرَّحالة الذين جاءوا من بعده، وسلكوا الطريق نفسه الذي سلكه بلجريف، وكان من أشد الناقدين له الرَّحالة فيلبي، الذي سلك الطريق نفسه في رحلاته إلى أراضي شبه الجزيرة العربية، في حين أن الرَّحالة داوتي وبلنت أكدا على أن رحلة بلجريف صحيحة[61].

كذلك أضاف الرَّحالة شكسبير ما لم يلاحظه الرَّحالة بلجريف عن واحة سُدَيْر*[62] والغَاط*[63]، فقد وصفهما وصفًا دقيقًا بعد ما فشل في ملاحظتهما الكابتن بلجريف في طريقه، ووصف قمة طُوَيْق*[64]، وقياس ارتفاعها، والقرى المجاورة لها، وما يحيط بها من حدائق وأشجار نخيل وبساتين، إلى جانب ذلك استفاد كثيرًا من تجربة الرَّحالة رونكيير وملاحظاته في أراضي شبه الجزيرة العربية، فقد انتفع به في رحلته[65].

كما استفاد الرَّحالة رونكيير من رحلات سابقه، ساعدته في رحلته إلى أراضي شبه الجزيرة العربية، ككتاب الرحالة بلجريف وبوركهارت، وبلنت وسادلير؛ ومن الناحية الجغرافية اعتمد على رحلة لويس بيلي، وقد استغرقت

---

(58)(العناني، 1397هـ/ 1979م، ص468).

(59)(زيمة، 1419هـ/ 1999م، ص 49).

(60)(شاز، 1427هـ/ 2007م، ص 10).

(61)(بِدُوَل، 1409هـ/ 1989م، ص75)

(62)*سُدَيْر: من أكبر أقاليم اليمامة، وقاعدته المَجْمعَة.

(63)*الغَاط: تقع شمال منطقة الرياض، وسميت بذلك لأنها مأخوذة من لغط السيل وهو ضجيجه، واحتدامه.

(64)*طُوَيْق: وهو العمود الفقري لليمامة وهيكلها الرئيسي يسمى طويقًا، ويسمى كذلك العارض. يمتد شمالاً من منطقة الشرق إلى الربع الخالي ويأخذ في الانحدار التدريجي نحو الشرق لِيُلامس السهول الشرقية. وحوله كثير من المزارع والمدن والقرى.

(65)(العناني، 1397هـ/ 1979م، ص 476ـ 477).

رحلته نفس مدة رحلة بيلي، وهي ثمانية أيام[66]، فسجّل وصفاً للكثبان الرملية الواقعة في الصُّمَّانُ والدّبدبة، وأكد على وجود سلسلة من الينابيع والآبار في الأودية المنتشرة بينهما، وعند مقارنة ما كتبه الرَّحالة باركلي وبيلي نلاحظ اتفاقًا واختلافًا بينهما في وصفهما لمعالم الحياة الجغرافية الواقعة في المنطقة[67].

ويلاحظ في رحلة رونكيير نقله لنصوص عن أوصافٍ جغرافية لهضبة طُويق ووادي المَجْمَعَة*[68]، والنباتات في هضبة طويق والأودية القريبة، من الرَّحالة بلجريف الذي بالغ في وصفه وفي تقاريره، فقد كان رونكيير يصف ما يراه لمرحلتين أو ثلاث ثم يورد ما ذكره بلجريف عنها، دون تدخل منه؛ لأنه قال إنه: " لا يريد تجزئة كلامه"[69].

وعند المقارنة بين فيلبي الذي كان يتجَّول بحرية داخل أراضي شبه الجزيرة العربية تحت حماية السلطة المحلية، ومستخدماً أجهزته، وبين بلجريف نجد أن فيلبي جاء وصفُه مقارباً لوصف الرَّحالة بلجريف الذي كان يتنقل متخفياً بالإضافة إلى ضياع أوراقه، ومن ثم اضطر لإعادة كتابتها معتمدًا على ذاكرته[70]، وهذا يدل على مدى دقة بلجريف وبالغ حرصه في تلك الرحلات.

كما استعان أيضًا الرَّحالة تشيزمان برحلة فيلبي؛ فيظهر جليًا أنه اطلع عليها، بل اعتمد عليها كسند وحيد وعملٍ مُوَثَّقٍ عن هذا البلدة بما يختص بالناحية الصحراوية، واستعان بها في وصف الواحات والأودية والينابيع، وقد رأى أوصافه تطابقت مع ملاحظاته، ونلمس من رحلته أنه كان يميل إلى هذا النوع من الوصف والتدقيق في نقولاته، والتنوع فيها بما جاء في رحلته، وكان ذلك بما يناسب الحال والموضع والأماكن.

ويبدو أن الرَّحالة تشيزمان انتهز فرصة تنقلاته في المنطقة في الوقوف على الأماكن التاريخية القديمة؛ إذا اطَّلع قبل رحلته على مؤلفات قديمة تتحدث عن تاريخ المنطقة ومدى أهميتها، وتنوع سكانها، وقيمهم وعاداتهم، ومما يُحسب لتشيزمان أنه اعتمد على روايات السكان الشفوية التي مكنته من الكشف عن الأماكن الأثرية، وتكمن أهمية رحلته في أنها حفظت لنا هذه المرويات من الضياع بوفاة قائليها[71].

**ثالثًا- القيمة العلمية للرحلات التاريخية:**

نلاحظ أن ما كُتب عن الرحلات الغربية قد مهَّد الطريق، وأسهم في الكشف عن نواحي مجهولة فيها، وبالتالي نقول: إن ثمار الرحلة يتعذر حصرها، ولاسيما إذا كان الرَّحالة يتوفر فيه شروط الأديب يكون متمتعًا بقوة الملاحظة، وشهوة التطلع ويقظة الحواس، وحب المحاورة، والرغبة في التحصيل والحرص على التدوين والتسجيل.

وتأتي قيمة الرحلات التاريخية من أنها أساسًا قامت على التجربة والملاحظة المباشرة، فهذا الأمر كان واضحًا جليًا في جميع الرحلات، فالرَّحالة قد اعتنوا بالمسالك وقياس المسافات الطرق وغيرها، فقد أودعوا في مدوناتهم وكتبهم، فلم يَفُتْهم وصف الطرق التي سلكوها وتسجيل المسافات التي قطعوها، والمعالم التي شاهدوها، بالإضافة إلى

---

(66)(رونكيير، 1424هـ/ 2003م، ص23، 30).

(67)(بيلي، 1411هـ/ 1991م، ص44)؛(رونكيير، 1424هـ/ 2003م، ص 123ـ 124، 192ـ 193).

(68)*وادي المَجْمَعَة: مدينة وهي قاعدة إقليم سُدَيْر، وتقع على خط الرياض القصيم المدينة المنورة، ملتقى الأودية وتكثر بها الأشجار النخيل.

(69)(رونكيير، 1424هـ/ 2003م، ص170، 174).

(70)(فيلبي، 1424هـ/ 2004م، ج1، ص 14، 17ـ 18).

(71)(تشيزمان، 1419هـ/ 1998م، ص39، 43، 45، 49).

الصعوبات التي واجهوها، والمحطات التي نزلوها، كما بادروا بالتحذير في مناطق الأخطار ونصحوا بسلوك طريق الأمان، فيتجلى من كل ذلك خلاصة التجربة التي مروا بها، ومن ثم قدموها.

كان اعتقاد الرَّحالة أن من حق خَلَفهم عليهم أن يبينوا لهم خير الطرق وأفضلها للوصول إلى مقاصدهم ويشرحوا لهم المخاطر ليستعدوا لها، وما يمكن أن يلقوه من مصاعب ليتغلبوا عليها. وعليه فقد دونوا مشاهداتهم وذكروا المواقف المتباينة، والمعاناة التي لاقوها وهم يجولون في البلاد ويتنقلون بين أقطارها[72].

ومما سبق نجد فروقات بينهم في نظرتهم للمنطقة، وذلك بسبب اختلاف أغراضهم وأهدافهم، ولكن لا يعني ذلك بالضرورة أنَّ كل ما سجَّلهُ وكتبه ودَوَّنهُ هؤلاء الغربيين سيء؛ فهم ينظرون إلى منطقة وشعب وعقيدة تختلف عمَّا ألفوه، ومع ذلك فإن الدارس يستطيع أن يستخلص من هذه النصوص كثيرًا من الملاحظات والفوائد التي تكتشف مدى اهتمامهم وأهدافهم التي جاءوا من أجلها.

## أهم نتائج البحث

خلص البحث إلى عدد من النتائج، ويمكن عرض أهمها على النحو الآتي:

1- بداية ظهور الرَّحالة الغربيين الفعلي وما تركوه من كتابة وتصنيف حول أراضي شبه الجزيرة العربية، ومرورًا بالأَحْسَاء، والتركيز على منطقة معينة، في(النصف الأول من القرن14هـ/ 20م).

2- أظهرت بعض الدراسات القيمة العلمية الكبيرة لكتابات بعض ومناهج الرَّحالة الغربيين من وصف جميل وأحيانًا دقيقًا لمختلف المواقع التي مروا بها وأن يغلب عليها في أحايِينُ كثيرة العمومية والسرعة في الوصف، وعلى الرغم من أنَّ بعض الرَّحالة الغربيين كانت فترته قصيرة جدًا، إلا أنه أعطى معلوماتٍ قيمة حول منطقة الأَحْسَاء وتوابعها.

3- أن الدافع من وراء هذه الدراسة المتواضعة هو الوقوف على حقيقة الدور الذي لعبه هؤلاء الرَّحالة الغربيين في وصف أراضي شبه الجزيرة العربية عامة، والأَحْسَاء خاصة، وبالرغم من أهدافهم الحقيقية التي تهدف إلى تسهيل السيطرة الأوروبية على أراضي شبه الجزيرة العربية، فإنه يمكننا أن نستفيد من منهجهم وكتاباتهم من خلال وصفهم للمنطقة والكشف عن تصورهم الجغرافي وطبيعة منهجهم وأسلوبهم العلمي الحديث، فخلفوا وراءهم مصنفات ومذكرات كثيرة تتحدث عن مختلف مظاهر الحياة في تلك الفترة التي نحن في أمس الحاجة لمعرفتها اليوم، وهي تنبِئُ عن درجة عالية من الاهتمام بدراسة المجتمعات المسلمة، والتي قد لا نجدها في المصادر العربية.

**خلاصة القول:**

نجد أن هذه الرحلات الغربية تجسد لنا ما عاناه هؤلاء الرَّحالة الغربيون، وما ظهر عليهم من تمجيد أنفسهم وحضارتهم، واستعلاء بعضهم في الحديث عن سكان أراضي شبه الجزيرة العربية، كما لا يخفى على المتصفح لهذه الرحلات الدور الكبير للأدلاّء الذين قادوهم وحموهم من أخطار الطرق، ولولا وجودهم لما استطاع هؤلاء الرحالة دخول أراضي شبه الجزيرة العربية والتنقل في صحاريها ووديانها، والتغوُّل في أعماقها، فالرحلات موسوعات علمية، وسجلت الأحداث، وَوَصَفَ أصحابها من معالم الأرض التي مرّوا بها، بالإضافة إلى المقارنة بينها والتوثيق.

(72)(قنديل، 1423هـ/ 2002م، ص 23، 27، 67).

## التوصيات:

بناءً على ما تم عرضه، وما تم التوصل إليه من نتائج، توصي الباحثة بما يلي:

1- إنشاء قاعدة بيانات معلوماتية عن منهج كتابات الرَّحالة، وإتاحتها على شبكة التواصل.

2- أن يخصص قسم بالمكتبات العامة بالجامعات، لكتب الرحلات وأدبها، بعيدًا عن كتب التاريخ والتراجم والبلدان والمسالك، وتترجم جميع الرحلات باللغات المختلفة.

3- إنشاء خطة وطنية مستقبلية طابعها طابع إسلامي وسياحي جيد، تسهم في إبراز الهوية الوطنية أمام كتابات المستشرقين، بما ينعكس على ثقافة المجتمع في المنطقة.

## المصادر والمراجع

**أولاً- المصادر والمراجع بالعربية:**


- الألوسي، محمود. (د. ت). تاريخ نجد. د. ط. مكتبة مدبولي. القاهرة. مصر.
- إبراهيم، عبد العزيز. (1435هـ/ 2013م). روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية. ط1. دار الساقي. بيروت. لبنان.
- بِدُوَل، رَوّبِن. (1409هـ/ 1989م). الرَّحالة الغربيون في الجزيرة العربية. د. ط. د. ن. د. م.
- برينث، بيتر. (1411هـ/ 1990م). بلاد العرب القاصية رحلات المستشرقين إلى بلاد العرب. ط1. دار قتيبة. دمشق.
- بلجريف، وليام. (1422هـ/ 2001م). وسط الجزيرة العربية وشرقها. د. ط. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة. مصر.
- بيلي، لويس. (1411هـ/ 1991م). رحلة إلى الرياض. ط1. جامعة الملك سعود. الرياض. السعودية.
- تشيزمان، آر. إي. (1419هـ/ 1998م). في شبه الجزيرة العربية المجهولة. ط1. مكتبة الملك عبد العزيز. جدة. السعودية.
- الجاسر، حمد. (1399هـ/ 1979م). المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية المنطقة الشرقية البَحْرَين قديمًا. ط1. دار اليمامة. الرياض. السعودية.
- الحازمي، منصور. (1400هـ/ 1980م). "رحلات العرب في جزيرة العرب والبلاد العربية1319 ـ1392هـ/ 1901ـ1972م". مجلة الدارة: 3: 30.
- رونكيير، باركلي. (1424هـ/ 2003م). عبر الأراضي الوهابية على ظهر جمل. ط2. مكتبة العبيكان. الرياض.
- زيمة، البرخت. (1419هـ/ 1999م). شبه الجزيرة العربية في كتابات الرَّحالة الغربيين في مائة عام 1770ـ 1870م الجزء الأول الرحلات إلى الحجاز وعسير ونجد. د. ط. مكتبة الملك عبد العزيز العامة. الرياض. السعودية.
- شاز، راشد. (1427هـ/ 2007م). الطريق إلى الجزيرة العربية. ط1. دار العربية للموسوعات. بيروت. لبنان.
- الشيباني، محمد. (1424هـ/ 2000م). أهداف الرَّحالة الغربيين في الجزيرة العربية الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية. ط1. مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض. السعودية.
- العبد الجبار، عبد الله. (1422هـ/ 2001م). "كتابات الرَّحالة الغربيين مصدرٌ لتاريخ شبه الجزيرة العربية القديم". مجلة الدارة: 1: 24، 44ـ 45.
- العثيمين، عبد الله. (1419هـ/ 1999م). تاريخ المملكة العربية السعودية. ط1. الأمانة العامة بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية. الرياض. السعودية.

- عطا الله، سمير. (1415هـ/ 1994م). قافلة الحبر الرَّحالة الغربيون إلى الجزيرة والخليج 1762. 1950م. ط1. دار الساقي. بيروت. لبنان.
- عمر، أحمد. (1429هـ/ 2008م). معجم اللغة العربية المعاصرة. ط 1، عالم الكتب. القاهرة. مصر.
- العناني، أحمد. (1397هـ/ 1979م). رحلات الكابتن وليم إيرفن شيكسبير في شبه الجزيرة العربية دراسات تاريخ الجزيرة العربية الكتاب الأول مصادر تاريخ الجزيرة العربية. ط1. جامعة الرياض. الرياض. السعودية.
- الفارس، أسعد. (1424هـ/ 2000م). الرَّحالة الغربيون في شبه الجزيرة العربية الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية. ط1. مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض. السعودية.
- فهيم، حسين. (1399هـ/ 1978م). أدب الرحلات. د. ط. سلسلة عالم المعرفة. الكويت.
- فيدال، ف. ش. (1410هـ/ 1990م). واحة الأَحْسَاء. ط1. دارة الملك عبد العزيز. الرياض. السعودية.
- فيلبي، هاري. (1424هـ/ 2004م). قلب الجزيرة العربية سجل الأسفار والاسكتشاف. ط1. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة. مصر.
- قنديل، فؤاد. (1423هـ/ 2002م). أدب الرحلة في التراث العربي. ط2. مكتبة الدار العربية للكتاب. القاهرة. مصر.
- مجمع اللغة العربية. (1425هـ/ 2004م). المعجم الوسيط. ط4. مكتبة الشروق الدولية. القاهرة. مصر.
- محمود، أحمد. (1431هـ/ 2010م). جمهرة الرحلات رحَّالة في ديوان الملك عبد العزيز آل سعود. ط 1. مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض. السعودية.
- وهبه، مجدي. والمهندس، كامل. (1405هـ/ 1984م). معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. ط2. مكتبة لبنان. بيروت.

**ثانياً- المصادر والمراجع الأجنبية:**

- Alsaleh, Fadia. (No). Travels to Arabia duning the Reign of King Abdulaziz. Con frence on the Kingdom of Saudi Arabia. 100 Years.
- Al Yahya, Eid. (2006). Travelles in Arabia British Explorers in Saudi Arabia,with Al-Turath. The Kingdom of Saudi Arabia. Riyadh.